المسائل العقدية المستنبطة من حديث "فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ"

Creedal Issues Inferred from the Hadith "For None of You Will Enter Paradise by His Deeds"

10.35781/1637-000-184-001

د. أريج بنت سليمان بن عبد الله الباهلي*

*الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود

الملخص:

يهدف البحث إلى:

- بيان مكانة حديث «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، ودلالته العامة.

- استخراج المسائل العقدية المتضمنة في الحديث ودراستها دراسة علمية.

- بيان موقف أهل السنة والجماعة من العلاقة بين الأعمال والجزاء وفضل الله تعالى.

- إبراز أثر الحديث في تحقيق التوازن العقدي بين العمل والاعتماد على رحمة الله تعالى.

منهج البحث: المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي.

وانتهي البحث إلى النتائج الآتية:

- يعد عمل العبد سبب من أسباب دخول الجنَّة، وليس سبب مستقل عن رحمة الله تعالى، وأنَّ العبد لن يدخل الجنة بعمله ما لم يتغمده الله تعالى برحمته. كما أنَّ الجنَّة ليست عوضاً عن العمل أو مقابلاً له.

- من رحمة الله تعالى لعباده توفيقهم للأعمال الصالحة وقبولها منهم.

- ظهر بوضوح وسطية أهل السنَّة والجماعة وهدايتهم للحق بين الطوائف المنحرفة لاعتمادهم على الوحي.

الكلمات المفتاحية: العمل الصالح؛ رحمة الله؛ دخول الجنة؛ عقيدة أهل السنة والجماعة.

ISSN : 2410-1818

Creedal Issues Inferred from the Hadith "For None of You Will Enter Paradise by His Deeds"

Dr. AREEJ bint Sulaiman bin Abdullah Al-BAHLI*

*Assistant Professor of Creed and Contemporary Doctrinal Trends
Department of Islamic Studies - College of Education
King Saud University

Abstract

Research Title: Creedal Issues Inferred from the Hadith: "For None of You Will Enter Paradise by His Deeds"

Researcher: Areej bint Sulayman bin Abdullah Al-Bahli

This research aims to:

-Highlight the significance of the hadith, "For None of You Will Enter Paradise by His Deeds," and explain its general implications.

-Identify and examine the creedal issues contained in the hadith through a scholarly analysis.

-Clarify the position of Ahl al-Sunnah wa al-Jamāʿah regarding the relationship between deeds and reward, and the of Allah, the Exalted.

-Highlight the role of the hadith in establishing a balanced creedal approach between performing righteous deeds and relying upon the mercy of Allah, the Exalted.

Methodology: The research adopts the inductive and analytical approaches.

Results: The research reached the following conclusions:

-A servant's deeds are among the causes of entering Paradise, but they are not independent of the mercy of Allah, the Exalted. A servant will not enter Paradise by his deeds unless Allah encompasses him with His mercy. Paradise is neither compensation for deeds nor a recompense corresponding to them.

-Among the manifestations of Allah's mercy toward His servants is that He grants them success in performing righteous deeds and accepts those deeds from them.

The moderation of Ahl al-Sunnah wa al-Jamāʿah and their adherence to the truth, in contrast to deviant sects, is clearly demonstrated in their reliance upon revelation.

Keywords: Righteous Deeds; Allah's Mercy; Entry into Paradise; Creed of Ahl al-Sunnah wa al-Jamāʿah.

ISSN : 2410-1818

المقدمة

الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء، وأسبغ على عباده نعمه الظاهرة والباطنة، وجعل الأعمال الصالحة سببًا لنيل فضله ورضوانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بيّن لأمته طريق النجاة، ودلها على حقيقة العبودية القائمة على العمل والافتقار إلى رحمة الله تعالى. أما بعد:

فإن من أعظم ما يقرره الوحي في نفوس المؤمنين تحقيق العبودية لله تعالى، وإدراك افتقار العبد الدائم إلى فضله ورحمته، فلا يغتر بعمله، ولا يعتمد عليه استقلالًا، بل يجمع بين بذل السبب وحسن التوكل على المسبب. وقد جاءت السنة النبوية ببيان هذا المعنى في أحاديث كثيرة، ومن أجلّها قول النبي ﷺ: فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، الذي يقرر أصلًا عقديًا مهمًا، وهو أن الأعمال -مع عظم منزلتها ووجوب المحافظة عليها- ليست مستقلة بإدخال العبد الجنة، وإنما ذلك فضل من الله تعالى ورحمة منه.

وقد أثار هذا الحديث عددًا من المسائل العقدية المتعلقة بحقيقة العمل، ومنزلته، وعلاقته بالجزاء، ومفهوم الاستحقاق، والجمع بين النصوص الواردة في فضل الأعمال والنصوص الدالة على سبق رحمة الله تعالى وفضله. ومن هنا جاءت أهمية دراسة هذا الحديث دراسة عقدية تستخرج ما تضمنه من مسائل الاعتقاد، وتبين معانيه في ضوء منهج أهل السنة والجماعة.

أهمية البحث وأسباب اختياره:

1- إبراز ما تضمنه الحديث النبوي من مسائل عقدية مهمة تتعلق بمنزلة الأعمال، وفضل الله تعالى، ورحمته، وعلاقة السبب بالمسبب.

2- بيان منهج أهل السنة والجماعة في الجمع بين إثبات أثر الأعمال ونفي استقلالها بإدخال العبد الجنة.

3- حاجة الحديث إلى دراسة تستخرج دلالاته العقدية في بناء مستقل بعيدًا عن الاقتصار على الشرح الحديثي العام.

4- الإسهام في إثراء الدراسات العقدية من خلال ربط النص النبوي بأصول الاعتقاد وقواعد أهل السنة والجماعة.

مشكلة البحث: تتمثل مشكلة البحث في دراسة المسائل العقدية التي تضمنها حديث: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» وبيان دلالاته في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما المسائل العقدية المستنبطة من حديث «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، وكيف تُفهم دلالاته في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة؟ ويتفرع عنه الأسئلة الآتية:

1- ما المعنى الإجمالي للحديث؟

2- ما المسائل العقدية المتعلقة بالأعمال ودخول الجنة المستنبطة منه؟

ISSN : 2410-1818

3- ما دلالات الحديث في تقرير فضل الله تعالى ورحمته؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

1- بيان مكانة حديث "فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ"، ودلالته العامة.

2- استخراج المسائل العقدية المتضمنة في الحديث ودراستها دراسة علمية.

3- بيان موقف أهل السنة والجماعة من العلاقة بين الأعمال والجزاء وفضل الله تعالى.

4- إبراز أثر الحديث في تحقيق التوازن العقدي بين العمل والاعتماد على رحمة الله تعالى.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع النصوص المتعلقة بالحديث، وتتبع أقوال العلماء في دلالاته العقدية، كما استفاد من المنهج التحليلي في دراسة المسائل المستنبطة وربطها بأصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة.

إجراءات البحث:

قام البحث على تخريج الحديث من مصادره الأصلية، وبيان معناه الإجمالي، ثم استخراج المسائل العقدية التي تضمنها، وتصنيفها ودراستها، مع توثيق الأقوال ونسبتها إلى مصادرها.

حدود البحث: يقتصر البحث على دراسة المسائل العقدية المستنبطة من حديث «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله»، دون التوسع في الجوانب الفقهية أو الوعظية إلا بقدر ما يخدم الجانب العقدي. كما يركز على تقرير منهج أهل السنة والجماعة في فهم الحديث، مع الإشارة إلى المخالفات العقدية عند الحاجة.

الدراسات السابقة:

1. أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين دراسة وترجيح، د. سليمان بن محمد الدبيخي، أصل الكتاب: رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة-كلية الدعوة وأصول الدين (قسم العقيدة)، الناشر: مكتبة دار البيان الحديثة، الطائف-المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1422هـ، -2001م، عدد الصفحات: 749. يتفق هذا البحث مع رسالة الدكتور سليمان الدبيخي في تناول حديث "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله"، وبيان معناه الصحيح ودفع ما قد يتوهم من التعارض بينه وبين النصوص الأخرى، ويختلف عنها في أن رسالة الدبيخي عالجت الحديث ضمن دراسة عامة لأحاديث العقيدة المشكلة في الصحيحين، وكان مقصدها الأساس إزالة الإشكال والترجيح بين الأقوال، بينما يختص هذا البحث باستخراج المسائل العقيدة التي

ISSN : 2410-1818

تضمنها الحديث وتأصيلها، وبنائها في دراسة مستقلة وفق منهج أهل السنَّة والجامعة من خلال مباحث تتناول علاقة العمل بالجزاء، وفضل الله ورحمته، وآثار الحديث في تقويم الانحرافات العقدية. وبذلك يضيف البحث معالجة عقدية موضوعية تجمع شتات الدلالات العقدية للحديث في بناء علمي مستقل، وهو جانب لم يُفرد بالدراسة في رسالة الدبيخي.

2. فهم حديث: "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله في ضوء السياق"، للباحث مسعود محروس كوني، منشورة في مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 2023م. ص: 117-187. تناول البحث الحديث من خلال بيان أثر السياق في فهم دلالاته، وإزالة الإشكالات المتعلقة بالعلاقة بين العمل وفضل الله تعالى ورحمته. ويتشابه مع البحث الحالي في تناول الحديث نفسه وبيان أن دخول الجنة لا يكون بالعمل استقلالًا، وإنما بفضل الله ورحمته. ويختلف عنه في أن بحث كوني ركز على منهج فهم الحديث في ضوء السياق، بينما يركز البحث الحالي على استخراج مسائله العقدية وتأصيلها في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة. ويضيف البحث الحالي دراسة مستقلة لمجموع الدلالات العقدية في الحديث، كمنزلة العمل، وفضل الله، والرحمة، والسببية، وحقيقة الاستحقاق.

خطة البحث:

المقدمة: وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وحدوده، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد: التعريف بالحديث وبيان دلالته العامة.

المبحث الأول: الدلالات العقدية المتعلقة بالعمل والجزاء في حديث «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، وفيه:

المطلب الأول: منزلة الأعمال في عقيدة أهل السنة والجماعة وعلاقتها بدخول الجنة.

المطلب الثاني: الجمع بين نفي دخول الجنة بالعمل وإثبات أثر العمل في الثواب.

المبحث الثاني: الدلالات العقدية المتعلقة بفضل الله ورحمته في الحديث، وفيه:

المطلب الأول: إثبات فضل الله تعالى ورحمته وسعة عطائه.

المطلب الثاني: أثر الحديث في تقرير عقيدة أهل السنة في باب الوعد والوعيد.

المبحث الثالث: الآثار العقدية للحديث وموقفه من الانحرافات العقدية، وفيه:

المطلب الأول: موقف الحديث من مذهب المرجئة في تعطيل أثر العمل.

المطلب الثاني: موقف الحديث من الغلو في الاعتماد على الأسباب وإهمال فضل الله.

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

ISSN : 2410-1818

التمهيد: التعريف بالحديث وبيان دلالته العامة

عن عائشة -رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» [1].

شرح ألفاظ الحديث:

"سددوا وقاربوا" أي: اقتصدوا في الأمور كلها، واتركوا الغلو فيها والتقصير. يقال: قارب فلان في أموره إذا اقتصد[2]. والمقصود: اطلبوا السداد واعملوا به وإن عجزتم عنه فقاربوه أي اقربوا منه، والسداد الصواب وهو بين الافراط والتفريط[3].

«يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» "، أي: يلبسنيها ويسترني بها. مأخوذ من غمد السيف، وهو غلافه. يقال: غمدت السيف وأغمدته[4].

المعنى الإجمالي للحديث:

بيَّن الحديث أنَّه لا يدخل أحداً الجنة بعمله، وأنَّ الأعمال الصالحة من أسباب رحمة الله للعبد، وتوفيقه له، وأنها من أسباب دخول الجنَّة وليست سبباً مستقلاً عن رحمة الله تعالى.

قال النووي -رحمه الله-: "وفي ظاهر هذه الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته وأما قوله تعالى: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ وقوله: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والله أعلم"[5].

فالعبد لا يترك العمل محتجاً برحمة الله، ولا يعتمد على العمل وحده فينسى رحمة الله. بل يجمع بين الأمرين، فيعمل الصالحات مع طلب الرحمة من الله وقبول العمل.

([1]) أخرجه البخاري: في كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل (5/ 2373)، رقم الحديث: (6102)، ورقم الحديث: (6099). ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله (17/ 167)، رقم الحديث: (2818).

([2]) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (33/4).

([3]) شرح النووي على مسلم، النووي، (162/17).

([4]) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (383/3).

([5]) شرح النووي على مسلم، النووي، (161/17).

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: الدلالات العقدية المتعلقة بالعمل والجزاء في حديث "لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ"

المطلب الأول: منزلة الأعمال في عقيدة أهل السنة والجماعة وعلاقتها بدخول الجنة:

إنَّ من أصول الإيمان عند أهل السنَّة والجماعة، ومما يجب اعتقاده هو أن العباد ينجون من النار بعفو الله ومغفرته، ويدخلون الجنة بفضله ونعمته ومغفرته، ويتقاسمون المنازل بأعمالهم[1].

فالجنة هي دار الثواب لمن أطاع الله وموضعها في السماء السابعة عند سدرة المنتهى، والجنة مئة درجة بين كل درجة والأخرى كما بين السماء والأرض، ولها ثمانية أبواب. وقد أعد الله لأهل الجنة فيها من النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"[2].

وقد ذكر ابن تيمية -رحمه الله- أسباب دخول الجنة من الأعمال الصالحة، وذكر منها: "طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. ومن ذلك: الصدق في القول والعمل، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، والإحسان إلى الجيران، واليتامى، وتخفيف الكرب عن المكروب من المسلمين، والتيسير على المعسر، وستر المسلم وإعانته، والإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له ولرسوله ﷺ، وخشية الله، ورجاء رحمته، والتوبة إليه، والصبر على حكمه، والشكر لنعمه، وقراءة القرآن، ودعاء الله، وغير ذلك من أمثال هذه الأعمال"[3]. والتي هي أعمال أهل الجنة، وبرحمة الله ثم بهذه الأعمال -والتي تعد سبباً بعد رحمة الله- يصل العبد إلى جنات النعيم، وذلك هو الفوز العظيم[4].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فإنه لن يدخل أحدا الجنة بعمله، ولا يدخلها أحد إلا بمجرد فضل الله ورحمته، وهذا لا ينافي ما تقدم من النصوص، فأنها إنما تدل على أن الأعمال أسباب لا أعواض وأثمان، والذي نفاه النبي في الدخول بالعمل هو نفي استحقاق العوض ببذل عوضه، فالمثبت باء السببية والمنفي باء المعاوضة والمقابلة وهذا فصل الخطاب في هذه المسألة"[5].

قال ابن حجر -رحمه الله-: "ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث جواب وهو أن يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولًا، وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى، وإنما يحصل القبول برحمة الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله: ﴿ادْخُلُوا

([1]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، (8/1).

([2]) أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، نخبة من العلماء، ص238.

([3]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (422/10).

([4]) الجنة والنار من الكتاب والسنَّة المطهرة، عبد الرحمن القحطاني، ص121.

([5]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، (92/2).

ISSN : 2410-1818

﴿الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي تعملونه من العمل المقبول ولا يضر بعد هذا أن تكون الباء في الآية للمصاحبة أو للإلصاق أو للمقابلة ولا يلزم من ذلك أن تكون للسببية"[1].

وهذا مما يبين أنَّ أهل الجنة نجوا من النار بعفو الله، وأدخلوا الجنة برحمة الله، واقتسموا المنازل وورثوها بالأعمال الصالحة وهي من رحمته، بل هي من أعلى أنواع رحمته[2].

فدخول الجنة برحمة الله تعالى حتى للرسول ﷺ، لكن هذه الرحمة لها سبب وهو العمل الصالح والتوحيد والإيمان، فمن جاء بالسبب نالته الرحمة، ومن لم يأت به لم تنله الرحمة، وهذا ما جاءت به النصوص قال الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32]، وقال: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17]، فالله حرّم الجنة على الكافرين؛ لأنهم ليسوا من أهل رحمته، فقد يئسوا منها، وأما المؤمنون فهم على خلاف الكافرين، بل هم من أهل رحمته ويدخلهم الله الجنة بسبب أعمالهم، والله تعالى هو الذي منَّ على الإنسان بالعمل الصالح، ولولا أن الله وفقه للعمل لما عمل، وهو الذي خلق الإنسان ورباه بنعمه، وأعطاه السمع والبصر والفؤاد، ومن عليه بالإسلام، وهداه، وهذا فضل من الله تعالى عليه، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور:21].

وقال مخبراً عن أهل الجنة: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف:43]، فالهداية من الله"[3].

وإذا كان العمل الصالح بسبب الرحمة، كان دخول الجنة في الحقيقة برحمة الله تعالى، وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الأعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا[4].

قال ابن عيينة -رحمه الله-: "كانوا يرون النجاة من النار بعفو الله، ودخول الجنَّة بفضله، واقتسام المنازل بالأعمال"[5].

وقد دل على ذلك ما لا يُحصى من كتاب الله، مثل قوله تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: 12]. ومثل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [يونس: 4].

([1]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (296/11).

([2]) المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، ص155.

([3]) شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث، عبد العزيز الراجحي، (2/13).

([4]) لباب التأويل في معاني التنزيل، الشيحي، (2/ 201).

([5]) المحجة في سير الدلجة، الحلواني، (393/4).

ISSN : 2410-1818

والتحقيق أن مقدار الأجر المستحق على تقدير وجوبه غير معروفٍ عقلاً، فجائز أن يكون حقيراً لو بيَّنه الله، وقد سمى الله الجنة فضلاً، فلا موجب لتأويله، لأنه -عز وجل- جعلها جزاء عملٍ حقيرٍ كرماً فضلاً، ولو لم يزد على القدر المستحق على تقدير صحته، لكان ما لا قدر له ولا نفع[1].

فالأعمال وإن كانت سببًا ظاهرًا للنجاة كما ذكر في الآيتين، ولكن التوفيق للأعمال ليس إلا من رحمة الله تعالى، ولولا رحمة الله السابقة ما حصل الإيمان ولا الطاعة التي يحصل بها النجاة، وإلى ذلك أشار حديث الباب بأن العمل بمجرده لا ينجي الإنسان، بل سببه الأخير هو رحمة الله تعالى. وإن منافع العبد لسيده فعمله مستحق لمولاه فمهما أنعم عليه من الجزاء فهو من فضله. كما أن نفس دخول الجنة لا يحصل إلا برحمة الله تعالى، وأما الدرجات المتفاوتة في الجنة فهي بسبب الأعمال. وأن أعمال الطاعات كانت في زمن يسير، والثواب لا ينفد، فالإنعام الذي لا ينفد في جزاء ما ينفد إنما يكون بفضل الله تعالى لا بمقابلة الأعمال[2].

قال ابن رجب الحنبلي -رحمه الله-: "أن عمل الإنسان لا ينجيه من النار ولا يدخله الجنة، وإن ذلك كله إنما يحصل بمغفرة الله ورحمته"[3].

ويظهر مذهب أهل السنة والجماعة في منزلة الأعمال وعلاقتها بدخول الجنَّة في أن الأعمال سبب في دخول الجنَّة، وأنَّ مجرد الأعمال غير كافٍ لدخولها، وليست أمر مستقلّ عن رحمة الله تعالى، إذ لا بد لهذه الأعمال من رحمة الله تعالى، فبدون هذه الأعمال فإنَّ الجنة لا تجب لأحد كما ورد ذلك في قوله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»

فهذا الحديث جمع مقامات الدين كلها، فأمر بالاستقامة، وهي: السداد والإصابة في النيات، والأقوال، والأعمال...، ومع هذا أخبرهم ﷺ أن الاستقامة والمقاربة لا تُنجي يوم القيامة، فلا يعتمد أحدٌ على عمله، ولا يُعجب به، ولا يرى أن نجاته به، بل إنما نجاته برحمة اللَّه، وعفوه، وفضله، فالاستقامة كلمة آخذة بمجامع الدين كله، وهي القيام بين يدي اللَّه على حقيقة الصدق، والوفاء بالعهد، وهي تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات[4].

وقد جاء القرآن الكريم مُبيّناً لهذا المعنى في مواطن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: 21].

([1]) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (290/7).

([2]) الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، محمد الأمين الشافعي، (455/25).

([3]) المحجة في سير الدلجة، الحلواني، (392/4).

([4]) الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنَّة، سعيد القحطاني، ص81.

ISSN : 2410-1818

قال ابن عثيمين -رحمه الله-: "قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كأن هذه النعم التي في الجنة جزاء على عمل لهم، بل هي حقيقة العمل لهم، لكن فيه: أن الفضل من الله عز وجل عليهم كأنه فضل منهم على أنفسهم؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مثل قوله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ فإحسان العمل بإحسان الجزاء، ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ إذ يمن عليهم بالسعي الحميد، ثم يشكرهم عليه، يمن عليهم هنا بالتوفيق للهداية، ثم يقول: أجازيكم على عملكم، وهذا لا شك أنه من تمام نعمة الله عز وجل. فضل الله عز وجل على العباد المؤمنين، فضله السابق واللاحق، فالسابق أن وفقهم للإيمان والعمل الصالح، واللاحق أن جعل هذا الجزاء على عمله"[1].

ونعم الله على عباده أعظم من أن تحصى، فلو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم تقم العبادة بشكر قليل منها. فكيف والعبادة من نعمته أيضاً. والعباد لا يزالون مقصرين محتاجين إلى عفوه ومغفرته فلن يدخل أحد الجنة بعمله، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرة الله لها: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر:45][2]. لأنه لولا رحمة اللَّه لعبده لما أدخله الجَنَّة، لأن العمل بمجرّده ولو تناهى لا يوجب بمجرده دخول الجَنَّة ولا أن يكون عِوضا لها، لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه اللَّه لا يقاوم نعمة اللَّه، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة، فتبقى سائر نعمه مقتضية لشكرها وهو لم يوفِّها حق شكرها، فلو عذبه على هذه الحالة لعذبه وهو غير ظالم، وإذا رحمه في هذه الحالة كانت رحمته خيرا من عمله[3].

المطلب الثاني: الجمع بين نفي دخول الجنة بالعمل وإثبات أثر العمل في الثواب

بيّن أهل السنَّة والجماعة أنه لا تناقض بين الحديث «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، قولا بين الآيات القرآنية الدالة على دخول الجنَّة بالعمل. كما في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32] ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:72]. فالتعارض بين كلام الله وكلام رسوله ﷺ أمر مستحيل.

لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾ [النجم:3-4] أي: لا يتبع إلا ما أوحى الله إليه من الهدى والتقوى، في نفسه وفي غيره.

([1]) تفسير القرآن الكريم، العثيمين، ص90.

([2]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (217/1).

([3]) أصول الإيمان، ابن عبد الوهاب، ص76.

ISSN : 2410-1818

ودل هذا على أن السَّنة وحي من الله لرسوله ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [النساء:113] وأنه معصوم فيما يخبر به عن الله تعالى وعن شرعه، لأن كلامه لا يصدر عن هوى، وإنما يصدر عن وحي يوحى[1].

وأهل السنَّة لا ينكرون أن الجنة تُدخل بعملٍ كما ورد في القرآن، وإنما ينكرون ما ليس في القرآن من كونها تستحق على الله بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، بحيث إنه لا فضل للبائع على المشتري.

وأنَّ أحداً لا يدخل الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله تعالى وإنَّ الباء في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32] باء السبب لا باء الثمن، جمعاً بين النصوص، وهو من حمل المشترك على أحد الحقيقتين بالحجة، لا من صرف الظاهر إلى المجاز، والعقول والفطرة ترجح ذلك[2].

فالآية تدل على أن الجنان بالأعمال، والحديث ينفي دخول الجنّة بالأعمال، ولا تنافي بينهما، لأن توارد النّفي والإثبات ليس على محلٍ واحدٍ، فالمنفي باء الثمنيّة واستحقاق الجنّة بمجرّد الأعمال، ردًا على القدريّة المجوسيّة التي زعمت أن الفضل بالثواب ابتداء متضمن لتكدير المنّة. والباء المثبتة التي وردت في القرآن هي باء السببيّة، ردًا على القدريّة الجبريّة الذين يقولون: لا ارتباط بين الأعمال وجزائها، ولا هي أسباب لها، وإنما غايتها أن تكون أمارة.

والسنّة النبويّة هي: أن عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافي ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها.

وكل طائفة من أهل الباطل تركت نوعا من الحق فإنها ارتكبت لأجله نوعًا من الباطل، بل أنواعًا، فهدى الله أهل السنّة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه[3].

قال ابن الوزير -رحمه الله-: "فمرجع النزاع في أن الباء التي في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32] هل هي باء المعاوضة للشيء بمقدار ثمنه، مثل الثوب بالدرهم، أو هي باء السببية، كقولك: أكرمني الملك بسابق معرفةٍ، أو بكلمة طيبة سمعها مني، أو نحو ذلك؟

والقرآن إنما نص على العمل، لا على أن الباء فيه للثمن المساوي، ولو قال أهل السنة بعدم العمل، لجوزوا الجنة للمشركين"[4].

([1]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص818.

([2]) إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، ابن الوزير، ص418.

([3]) تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، ص59.

([4]) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (290/7).

ISSN : 2410-1818

قال ابن حجر -رحمه الله-: "فإن قيل كيف الجمع بين هذه الآية وحديث «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»؟ فالجواب: أن المنفي في الحديث دخولها بالعمل المجرد عن القبول، والمثبت في الآية دخولها بالعمل المتقبل، والقبول إنما يحصل برحمة الله فلم يحصل الدخول إلا برحمة الله"[1].

قال أهل العلم: إن الجمع بينهما اختلاف في معنى الباء، فالباء التي للسببية هي الموجودة في مثل هذه الآية ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا**﴾ [الواقعة:24] أي بسبب ما كانوا يعملون، والباء التي للعوض هي المذكورة في قوله: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» أي: عوضا عن عمله؛ لأننا لو أردنا المعاوضة والمقاصة لظهر العامل مغبونا مطلوبا، ولكان العامل مهما عمل من الصالحات فهو مطلوب، ونعمة واحدة من نعم الله عليك تستوعب جميع الأعمال[2].

"ففي قوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا ...**﴾ سماها ميراثا إشارة إلى الجمع بين هذه الآية، وبين قوله ﷺ: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»، فدل ذلك على أن دخول الجنة من غير عوض؛ فأشبه الميراث الذي هو عن غير عوض.

فإن قلت: الآية نص في دخولها بالعمل؟ قلنا: العمل حق لله تعالى وهو الذي أقدر المكلف عليه، فلا وجود له إلا بخلق الله تعالى فليس بعوض بوجه» [3].

قال ابن بطال -رحمه الله-: "ومعنى الحديث غير معنى الآية، أخبر النبي ﷺ في الحديث أنه لا يستحق أحد دخول الجنة بعمله، وإنما يدخلها العباد برحمة الله، وأخبر الله تعالى في الآية أن الجنة تنال المنازل فيها بالأعمال، ومعلوم أن درجات العباد فيها متباينة على قدر تباين أعمالهم، فمعنى الآية في ارتفاع الدرجات وانخفاضها والنعيم فيها، ومعنى الحديث في الدخول في الجنة والخلود فيها، فلا تعارض بين شيء من ذلك"[4].

فالباء في قوله -عز وجل-: ﴿**بِمَا عَمِلُوا**﴾ [النجم:31] فهي باء السببية أي: أن الله -عز وجل- جعل العمل سبب دخول الجنة، ولم يجعل الجنة عوضا عن العمل، بل العمل سببها[5].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وقوله صلى الله عليه وسلم «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» لا يناقض قوله تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾. فإن المنفي نفي بباء المقابلة والمعاوضة كما يقال بعت هذا بهذا، وما أثبت بباء السبب، فالعمل لا يقابل الجزاء وإن كان سببا للجزاء، ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه فهو ضال"[6].

([1]) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، (78/1).

([2]) تفسير القرآن الكريم، محمد العثيمين، ص90.

([3]) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (10/4).

([4]) شرح صحيح البخاري، ابن بطال، (180/10).

([5]) تفسير القرآن الكريم، العثيمين، ص232.

([6]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (217/1).

ISSN : 2410-1818

وقد نفى رسول الله ﷺ دخولها بالأعمال في قوله: «لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» ولا تنافي بين الأمرين لوجهين:

أحدهما: النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته واقتسام المنازل والدرجات بالأعمال.

والثاني أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلا للآخر والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببيه ما دخلت عليه لغيره وان لم يكن مستقلاً بحصوله وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين في قوله: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» [1].

قال الألوسي -رحمه الله-: "فإن الباء في الحديث باء المعاوضة والمبادلة، وفي الآية هي باء السببية لا باء المعاوضة، فالمنفي غير المثبت. كما نص عليه أهل العلم وأهل التفسير، وكل فاضل وعارف بصير، نعوذ بالله من القول على الله وعلى كتابه بغير علم ولا سلطان منير"[2].

فالحديث فيه بيان أن دخول الجنة بفضل الله ورحمته، والعمل سبب لدخول الجنَّة كما قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32]. وأنَّ نصوص السنَّة النبوية والقرآن الكريم لا تعارض بينهما.

فالنصوص يضم بعضها إلى بعض فقوله: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[النحل:32] هذه دعوى السببية، هذه بسبب عملكم، لكن الدخول لا يكون بالسبب مستقلاً عن رحمة الله، بل دخول الجنَّة لا يكون إلا برحمة الله، فهذه الرحمة لها سبب، وهو العمل، فمن جاء بالسبب نالته الرحمة ومن لم يأت بالسبب لم تنله الرحمة، فتكون الآية ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32] هذه باء السببية، والباء في الجملة المنفية باء العوض، لا يدخل أحدكم الجنة عوضا عن عمله، لكن الدخول برحمة الله، إلا أن له سبب، وهو العمل كما جاء في النصوص الأخرى ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32] وبذلك تتفق النصوص ولا تختلف[3].

والذي نفاه النبي ﷺ: (باء المقابلة) كما يقال: اشتريت هذا بهذا، فالمعنى ليس العمل عوضاً وثمناً كافياً في دخول الجنة، بل لابد من عفو الله وفضله ورحمته فبعفوه يمحو السيئات ورحمته يأتي بالخيرات وبفضله يضاعف البركات[4].

([1]) توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم الكافية الشافية، ابن عيسى، (599/2).

([2]) غاية الأماني في الرد على النبهاني، الألوسي، (365/1).

([3]) شرح العقيدة الطحاوية، الراجحي، ص334.

([4]) التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، آل مهدي، (109/2).

ISSN : 2410-1818

فإن قيل: فكيف الجمع بين قول النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ» وبين الآيات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 32] وأما الجواب على السؤال، فمن وجوه:

الوجه الأول: أن الأعمال الصالحة إنما صلحت برحمة الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 21].

وقال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: 7].

وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: 17].

ويوضحه من النظر أن المحسن بالسبب مُحْسِنٌ بالمسبِّب، خصوصاً مع قصد الإحسان بهما.

الوجه الثاني: لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله بالمعاوضة، لأن العمل حقيرٌ ليس يُستحق بمثله مثلُ الجنة لو رجعنا إلى العوض المحقق، والباء في قوله: ﴿بما كنتم تعملون﴾ [النحل: 32]، باء السببية، فالأعمال سبب ذلك الفضل العظيم، والباء في السببية ظاهرةٌ شهيرةٌ، وقد تكون الأسباب عللاً في التفضل.

وقد جمع الله الأمرين في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43][1].

يتبيّن مما سبق أن لا تعارض بين نفي دخول الجنة بالعمل وإثبات دخوله به؛ فالمنفي هو دخولها بالعمل على جهة المعاوضة والاستحقاق المستقل، والمثبت هو دخوله به على جهة السببية، مع بقاء الفضل والرحمة لله تعالى. وتتضافر نصوص القرآن والسنة في تقرير أن الأعمال الصالحة أسباب لنيل رحمة الله ودرجات الجنة، وليست أثمانًا تستوجبها استقلالًا؛ فدخول الجنة برحمة الله، وتفاوت أهلها في المنازل والدرجات بأعمالهم.

(1) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم ابن الوزير، (290/7).

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: الدلالات العقدية المتعلقة بفضل الله ورحمته في الحديث

المطلب الأول: إثبات فضل الله تعالى ورحمته وسعة عطائه:

من أصول أهل السنَّة والجماعة أنَّ الإيمان قول واعتقاد وعمل، وأنَّ الجنة لا تُدرك بالأعمال، وإنما بفضل الله ورحمته، والأعمال سبب لنيل رحمة الله تعالى.

قال ابن أبي زمنين -رحمه الله-: "ومن قول أهل السنة: إن الإيمان درجات ومنازل يتم ويزيد وينقص ولولا ذلك استوى فيه الناس، ولم يكن للسابق فضل على المسبوق.

وبرحمة الله وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة فيه يتفاضلون في الدرجات انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ومثل هذا في القرآن كثير"[1].

وقوله ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ».

الحديث دلَّ على أن دخول الإنسان إلى الجنة ليس بعمله. وإنما برحمة الله تعالى له.

فالعمل حق لله تعالى وهو الذي أقدر المكلف عليه، فلا وجود له إلا بخلق الله تعالى فليس بعوض بوجه[2].

قال ابن عطية -رحمه الله-: "إن دخولها بفضل من الله، ورفع الدرجات بالعمل باطل؛ بل الجميع بفضل الله تعالى"[3].

وقال ابن القيم -رحمه الله-: "وأما الحديث فأخبر فيه أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد، وأنه لولا رحمة الله بعبده لما أدخله الجنة، لأنَّ العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب دخول الجنة ولا أن يكون عوضًا لها، لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة"[4].

فأزال بذلك توهم من يتوهم أن الجنة ثمن الأعمال، وأن صاحب العمل يستحق على الله دخول الجنة كما يستحق من دفع ثمن سلعة إلى صاحبها تسليم سلعته، فنفى بذلك هذا التوهم، وبين أن العمل وإن كان سببا لدخول الجنة، فإنما هو من فضل الله ورحمته.

فصار الدخول مضافاً إلى فضل الله ورحمته ومغفرته؛ لأنه هو المتفضل بالسبب والمسبب المرتب عليه، ولم يبق الدخول مرتبا على العمل نفسه[5].

([1]) أصول السنَّة، ابن أبي زمنين، ص211.

([2]) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (10/4).

([3]) تفسير ابن عرفة، ابن عرفة، (10/4).

([4]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، (9/1).

([5]) المحجة في سير الدلجة، الحلواني، (393/4).

ISSN : 2410-1818

قال بعض أهل العلم: إن شكر نعمة الله على النعمة هو نعمة يحتاج إلى شكر ثان، والشكر الثاني نعمة يحتاج إلى شكر ثالث وهلم جرا[1].

وهذا هو مقام تحقيق التّوحيد، فالجنة لا تُدرك بالأعمال، وإنما الأعمال سبب لدخول الجنة ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:32].

قال العلماء: الباء باء السببيّة، وليست الباء للثمنيّة، فالعمل الصالح سبب لدخول الجنة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وإدخاله عباده الصالحين الجنة تفضل منه، وإحسان منه سبحانه وتعالى، والله تعالى يقول: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:18] إذا كنت لا تستطيع عدَّها، فكيف تستطيع الشكر؟ ولهذا يقول ﷺ في دعاء القنوت: (أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، لا أحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك)[2]، هذا سيّد الأنبياء، وإمام المرسلين، وأفضل الخلق يعترف أنه لا يُحصي الثناء على الله سبحانه وتعالى، فكيف بغيره؟[3].

وهذا مما يبين أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل ما ثم إلا عفو الله عز وجل ورحمته. فالله عز وجل وعد من عمل صالحا بأن يدخله الجنة جزاء بما عمل قال سبحانه: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17]، ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف:72]، فالجنة يدخلها العبد بالعمل؛ لكن الباء هذه ليست باء المقابلة إنما هي باء السببية؛ يعني بسبب ما كنتم تعملون.

فالعمل الصالح للعبد وأعلاه توحيد الله عز وجل والبراءة من الشرك وأهله والكفر بالطاغوت هذا العمل الصالح هو أعظم الأسباب التي يدخل الله عز وجل بها العبد للجنة.

أما المقابلة فإن الجنة وما فيها من النعيم وما أعطى الله العبد من النعم في الدنيا، بل ما من عليه أصلاً من الهداية لا يستحق الجنة بالمقابلة؛ لأن حصول الهداية للعبد منة من الله عز وجل وتكرم ولو ترك العبد ونفسه لما اهتدى. لهذا لا يدخل أحد الجنة إلا برحمة الله تعالى [4].

ونعيم الجنة في الحقيقة محض تفضل منه، لأن العبد لو صرف جميع عمره في الطاعة والعبادة لا يمكن أن يؤدي شكر نعمة واحدة من نعمة الخفية الدقيقة فضلاً عن أن يستحق عليه عوضاً به. فإن كل ما يفعله الإنسان لا يكافئ نعمة الوجود وحدها، فكيف يكون حال ما يقتضي غيره من النعم الكثيرة: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:18] [5].

([1]) تفسير القرآن الكريم، العثيمين، ص173.

([2]) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث: (486)، (352/1).

([3]) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، (81/1).

([4]) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، آل الشيخ، ص378.

([5]) مختصر التحفة الاثني عشرية، المؤلف: شاه الدهلوي، ص89.

ISSN : 2410-1818

قال ابن القيم -رحمه الله-: "فلو أتى العباد بكل طاعة، وكانت أنفاسهم كلها طاعات لله؛ لكانوا في محض منته وفضله، وكانت له المنة عليهم، وكلما عظمت طاعة العبد كانت منة الله عليه أعظم، فهو المان بفضله، فمن أنكر منته فقد أنكر إحسانه"[1].

ومن ذلك فإنه لا يجبُ لأحد على الله شيء. بل كل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل. فلا يجب لأحد الجنة - وإن كان عمله أحسن الأعمال، وعبادته أخلص العبادات، وطاعته أزكى الطاعات - إلا أن يتفضل الله عليه، فيوجبها له بمنِّه وفضله. وعمل الخير الذي عمله إنما تيسّر له بتيسير الله عزَّ اسمه، فلو لم يُيَسِّره له لم يُيَسر، ولو لم يهده لفعله لم يهتد بجهده أبداً وجدّه، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ**﴾ [النور: 21].

وقال تعالى مخبراً عن أهل الجنة: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف: 43].

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»، فالعمل من فضله، والجزاء عليه من فضله[2][3].

وهذا الحديث وما تضمنته هو من المعلوم في الإسلام ضرورة فإن الآيات القرآنية التي وصفت حال الرسل وافتقارهم إلى ربهم، ومعاتبته إياهم على مجرد فعلهم لخلاف الأولى كثير، كقوله لرسوله ﷺ: ﴿**وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (74) إِذًا لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (75)**﴾ [الإسراء: 74- 75][4].

المطلب الثاني: أثر الحديث في تقرير عقيدة أهل السنَّة في باب الوعد والوعيد:

يظهر أثر الحديث في عقيدة أهل السنَّة أنَّ سلف الأمة وأئمتها متفقون على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم الله عنه ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله بل لله الحجة البالغة على عباده[5].

فالله سبحانه لو عذب العباد أجمعين فهو غير ظالم لهم، ولو أدخلهم الجنَّة فهذا برحمته، وأنَّ رحمته سبقت غضبه، وأن رحمته أوسع من ذنوبهم. وأنه سبحانه لا يجب عليه شيء.

([1]) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، (197/1).

([2]) أخرجه البخاري في كتاب المرض، باب تمني المريض الموت (10/ 127) رقم (5673)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى (4/ 2169) رقم (2816) من حديث أبي هريرة.

([3]) الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، ابن إبراهيم، ص301.

([4]) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة، اليوسف، ص121.

([5]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (452/8).

ISSN : 2410-1818

ومما يبين ذلك ما روي عن عمران بن حصين: "إن الله عز وجل لو عذب أهل السماء وأهل الأرض، عذبهم غير ظالم لهم، ولو أدخلهم في رحمته كانت رحمته أوسع من ذنوبهم، وذلك أنه قضى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء، فمن عذب فهو الحق، ومن رحم فهو الحق"[1].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فكل ذلك فضل منه وإحسان؛ إذ كل نعمة منه فضل وكل نقمة منه عدل وهو وإن كان قد كتب على نفسه الرحمة وكان حقا عليه نصر المؤمنين فليس وجوب ذلك كوجوب حقوق الناس بعضهم على بعض الذي يكون عدلا لا فضلا"[2].

وقوله تعالى: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:32]، وقوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الزخرف:72] ونحوهما من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة فلا يعارض هذه الأحاديث، بل معنى الآيات أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح أنه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرحمة والله أعلم[3].

فالوعد: هو بشارة الله-سبحانه-عباده، أن من مات منهم لا يشرك به شيئاً، وأدَّى ما افترض الله عليه أنه يدخل الجنَّة. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة: 277]. وأما الوعيد: فهو التهديد بإلحاق العقاب بالعصاة. ويطلق على كل فعل لعن صاحبه، أو توعد بغضبٍ أو عقاب، ويدخل تحته وعيد الله للفساق، والكفار على مخالفته، وارتكاب نواهيه. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ [البقرة: 126][4]. ومن ذلك مسألة الوعد عند الجبرية والوعيد عند والمعتزلة.

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "وسلف الأمة وأئمتها متفقون أيضاً على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به، منهيون عما نهاهم الله عنه، ومتفقون على الإيمان بوعده ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنَّة، ومتفقون أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ولا محرم فعله، بل لله الحجة البالغة على عباده ومن احتج بالقدر على ترك مأمور أو فعل محظور أو دفع ما جاءت به النصوص في الوعد والوعيد فهو أعظم ضلالا وافتراء على الله ومخالفة لدين الله[5].

وقد جاء القرآن مصدقًا لمعنى هذه الأحاديث، كما في قوله تعالى عن الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد: 21].

([1]) الإبانة الكبرى، ابن بطة، (50/4).

([2]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (202/18).

([3]) شرح النووي على مسلم، النووي، (162/17).

([2]) معجم مصطلحات العلوم الشرعية، مجموعة من المؤلفين، (1783/4-1784).

([5]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (452/8).

ISSN : 2410-1818

والذي عليه أهل السنة والجماعة: أن مجرد الأعمال غير كاف في دخول الجنة، إذ لا بد من رحمة الله تعالى، فبدونها لا تجب الجنة لأحد[1].

كما تقدم في الحديث، حيث قال ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ».

وقوله: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» على ظاهره، وهو أن الله لو يستوفي حقه من عبده لم يدخل أحد الجنة، ولكن كما قال: ﴿**لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الزمر:35] [2].

قال ابن الوزير -رحمه الله-: "اعلم أن أهل السنة لا ينكرون أن الجنة تُدَخلُ بعمل كما ورد في القرآن، وإنما ينكرون ما ليس في القرآن من كونها تُستَحقُ على الله بالعمل استحقاق المبيعات بأثمانها، بحيث إنه لا فضل للبائع على المشتري.

فمرجع النزاع في أن الباء في قوله تعالى: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾، هل هي باء المعاوضة للشيء بمقدار ثمنه، مثل الثوب بالدرهم، أو هي باء السببية، كقولك: أكرمني الملكُ بسابق معرفة، أو بكلمة طيبة سمعها مني، أو نحو ذلك؟

والقرآن إنما نص على العمل، لا على أن الباء فيه للثمن المساوي، ولو قال أهل السنة: بعدم العمل، لجوَّزوا الجنة للمشركين فاعرف هذه النكتة"[3].

وأنَّ الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله. والباء التي في قوله تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:17]، ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته[4].

قال ابن تيمية -رحمه الله-: "بل هو سبحانه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم كما أخبر عن نفسه فقال تعالى: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ فهو حق أحقه سبحانه على نفسه لا أن أحدا من الخلق يوجب عليه حقا ولا يحرم عليه شيئا"[5].

([1]) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، الدبيخي، ص387.

([1]) حاشية كتاب التوحيد، ابن قاسم، ص22.

([3]) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (299/7).

([4]) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الدمشقي، (643/2).

([5]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (510/8).

ISSN : 2410-1818

فلو عذبهم سبحانه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، وذلك بأن يقابل إحسانه بإحسانهم، فإنه إذا قابل إحسانه بإحسانهم صار إحسانهم ليس بشيء، ولهذا قال النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ» أي من باب المقابلة، لأن الله لو حاسبنا على وجه المناقشة لكان فعلنا للخيرات دَيناً علينا، لأنه هو الذي منَّ علينا بذلك، وحينئذٍ لو عذبنا في هذه الحال أو من هذا الوجه لعذبنا وهو غير ظالم، هذا إذا صح الحديث، وعلى ذلك فلا يكون في هذا إشكال[1].

قال الذهبي -رحمه الله-: "والتحقيق أنه قدر أن الله عذب أحداً فلا يعذبه إلا بحق لأنه يتعالى عن الظلم"[2].

(1) شرح العقيدة السفارينية، العثيمين، ص345.

(2) المنتقى من منهاج الاعتدال، الذهبي، ص50.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثالث: الآثار العقدية للحديث وموقفه من الانحرافات العقدية

المطلب الأول: موقف الحديث من مذهب المرجئة في تعطيل أثر العمل:

ذهبت الجبرية من أن الأعمال ليس لها ارتباط بالجزاء البتة، وأنها ليست سببًا في دخول الجنة، فدخولها راجع إلى محض المشيئة. واستدلوا بالأحاديث التي فيها نفي دخول الجنة بالأعمال[1]. كقوله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»[2].

قال ابن الوزير -رحمه الله-: "فإذا ثبت بالنصوص والإجماع أن الشرك عمل، فكيف لا يكون التوحيد عملاً؟! وكما أن من عذبه الله تعالى من المشركين، فقد عذبه بعمله، فكذلك من أثابه الله من الموحدين، فقد أثابه وأدخله الجنة بعمله.

فبطل ظن من قال: إن الرجاء يؤدي إلى أن الإيمان قولٌ بلا عمل، أو إلى أن الجنة تُدخل بغير عمل، وقد عظَّم الله القول الثابت بقوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]"[3].

وما ذهبت إليه القدرية فهو على خلاف الجبرية، فهو يرون أن الجنة عوض عن العمل وثمن له، فالعبادات شرعت أثمانًا لما يناله العباد من الثواب والنعيم، وذلك بمنزلة استيفاء الأجير أجره، وعلى هذا فدخول الجنة راجع إلى محض الأعمال، واستدلوا بما تقدم من الآيات وما في معناها كقوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 43]. وقوله: ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 90]، فقالوا: إن الله تعالى -في هذه الآيات- جعل الجنة عوضًا عن الأعمال[4]. وقالت القدرية: "إنهم يدخلونها بأعمالهم؛ لئلا يتكدر نعيمهم عليهم بمنة الله، بل يكون ذلك النعيم عوضا "[5].

وهاتين الطائفتين الجبرية والقدرية: أحدهما -الجبرية-أخذ بالقدر وأعرض عن الأسباب الشرعية، والأعمال الصالحة وظنوا أن ذلك كاف، وهؤلاء يؤول أمرهم إلى الكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله، والفريق الثاني-القدرية- أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلب الأجير من المستأجر معتمدين على حولهم وقوتهم وعلمهم، وهم جهال ضلال، فمن أعرض عن الأمر والنهي والوعيد ناظرا

([1]) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، الدبيخي، ص 386.

([2]) أخرجه البخاري: في كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل (5/ 2373)، رقم الحديث: (6102)، ورقم الحديث: (6099). ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله (17/ 167)، رقم الحديث: (2818).

([3]) العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، ابن الوزير، (290/7).

([4]) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، الدبيخي، ص385.

([5]) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، (196/1).

ISSN : 2410-1818

إلى القدر، فقد ضل، ومن طلب المقام بالأمر والنهي معرضا عن القدر، فقد ضل، بل لابد من الأمرين فكل عمل يعمله العامل ولا يكون طاعة وعبادة وعملا صالحا، فهو باطل، وكل عمل لا يعين الله العبد عليه فإنه لا يكون، لأن تفاصيل الجزاء فلا يدرك إلا بالسمع، والنقول الصحيحة عن المعصوم الذي لا ينطق عن الهوىﷺ [1].

قال المقريزي -رحمه الله-: "والطائفتان-الجبرية والقدرية- منحرفتان عن الصّراط المستقيم، وهو: أن الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب، والأعمال الصّالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدرًا لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى، فلو عذّب أهل سماوته وأهل أرضه لعذّبهم وهو غير ظالمٍ، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم، وتأمّل قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مع قوله صلى الله عليه وسلم: (لن يدخل أحدٌ منكم الجنّة بعمله)"[2].

وحديث «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». يتعارض مع أصول المعتزلة -الوعد والوعيد-، فهم يعتقدون أن المكلف لا يدخل الجنة تفضلاً من الله، بل استحقاقاً، وأثبتوا بعقولهم أن ثواب المكلف واجب على الله. وبذلك فإن هذا الأصل عندهم يعارض الحديث، حيث إن الرحمة الواردة فيه من جنس التفضل[3].

قال الزمخشري المعتزلي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:43]. قال: "بسبب أعمالكم لا بالتفضل، كما تقول المبطلة"[4].

فقالت المعتزلة: بأن نعيم الجنة خالص لا يشوبه كدر، ولو كان دخولها على سبيل الجزاء والعمل لأفضى ذلك إلى تحمّل المنَّة. وأن تحمّل المنَّة ذلة وكدر في النعمة، وأن هذا لا يكون في الجنة[5].

فالقدرية: أوجبت عليه -سبحانه وتعالى- رعاية المصالح، وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال، وأن وصول الثواب إلى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منّة الصدقة عليه بلا ثمن، فجعلوا تفضّله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد، وإعطائه ما يعطيه أجرةً على عمله، أحبّ إلى العبد من أن يعطيه فضلاً منه بلا عمل. ولم يجعلوا للأعمال تأثيرًا في الجزاء البتّة[6].

([1]) كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، العرباوي، ص200.

([2]) تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، ص58.

([3]) فهم حديث "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله" في ضوء السياق، محروس، ص178.

([4]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، (105/2).

([5]) فهم حديث "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله" في ضوء السياق، محروس، ص178.

([6]) تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، ص57.

ISSN : 2410-1818

بل جعلوا الجزاء مرتب على الأعمال ترتيب العوض، كما قال تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: 17 والأحقاف: 14 والواقعة: 24]. ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: 42]. ونحو ذلك[1].

وأما الجبرية فهم على خلاف المعتزلة، فقد أنكروا أن تكون الأعمال سبباً في دخول الجنَّة.

فالجبريّة لم تجعل للأعمال ارتباطا بالجزاء البتّة، وجوّزت أن يعذّب الله من أفنى عمره في الطّاعة، وينعّم من أفنى عمره في مخالفته، وكلاهما سواء بالنسبة إليه، والكل راجع إلى محض المشيئة.

وما استدلت به الجبرية في أنَّ الجزاء غير مرتب على الأعمال، قوله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ».

قال ابن القيم -رحمه الله-: "والقدرية الجبرية تنفى باء السببية جملة وتنكر أن تكون الأعمال سبباً في النجاة ودخول الجنة وتلك النصوص وأضعافها تبطل قولهم"[2].

ومما تقدم فإنَّ ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضلت فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة. فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». - باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله.

والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17]، ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته.

فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات، فالمنفي في قوله ﷺ: لا يدخل أحدكم الجنة بعمله - باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل يستحق دخول الجنة على ربه بعمله! بل ذلك برحمة الله وفضله.

والباء التي في قوله تعالى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17]، ونحوها، باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خالق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته[3].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "وبه يتبين أن الحق مع الوسط بين الفرق في جميع المسائل لا يستثنى من ذلك شيء فما اختلفت الفرق إلا كان الحق مع الوسط، وكل من الطائفتين معه حق وباطل، فأصاب الجبرية في نفي المعاوضة، وأخطأوا في نفي السببية، وأصاب القدرية في إثبات السببية،

([1]) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص440.

([2]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، الابن القيم الجوزية، (92/2).

([3]) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، ص441.

ISSN : 2410-1818

وأخطأوا في إثبات المعاوضة فإذا ضممت أحد نفي الجبرية إلى أحد إثباتي القدرية ونفيت باطلهما كنت أسعد بالحق منهما"[1].

المطلب الثاني: موقف الحديث من الغلو في الاعتماد على الأسباب وإهمال فضل الله:

أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الأعمال الصالحة أسباب موصلة إلى ثواب الله تعالى وجنته، لكن ذلك لا يتحقق إلا بتوفر الشروط -والتي من أعظمها رحمة الله- وانتفاء الموانع[2].

وهذه الجنَّة الموصوفة بأكمل الصفات، هي ﴿الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:42] أي: أورثكم الله إياها بأعمالكم، وجعلها من فضله جزاء لها، وأودع فيها من رحمته ما أودع[3].

قال السعدي -رحمه الله-: "فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته عليهم لا بحولهم وقوتهم"[4].

وقال ابن تيمية -رحمه الله-: "مجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب، فإن المطر إذا نزل وبذر الحب لم يكن ذلك كافيًا في حصول النبات، بل لا بد من ريح مُرْبِيَةٍ بإذن الله ولا بد من صرف الانتفاء عنه، فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره - وكذلك أمر الآخرة، ليس بمجرد العمل ينال الإنسان السعادة، بل هو سبب ولهذا قال النبي ﷺ: «فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»"[5].

فقد أخبر ﷺ أنه لا ينجي أحدا عمله، لا من الأولين ولا من الآخرين، إلا أن يرحمه ربه تبارك وتعالى، فتكون رحمته له خيرا من عمله؛ لأن رحمته تنجيه، وعمله لا ينجيه، فعلم أنه سبحانه لو عذب أهل سماوته وأرضه لعذبهم ببعض حقه عليهم.

ومما يوضحه: أنه كلما كملت نعمة الله على العبد عظم حقه عليه، وكان ما يطالب به من الشكر أكثر مما يطالب به من هو دونه، فيكون حق الله عليه أعظم، وأعماله لا تفي بحقه عليه، وهذا إنما يعرفه حق المعرفة من عرف الله وعرف نفسه.

هذا كله لو لم يحصل للعبد من الغفلة والإعراض والذنوب ما يكون في قبالة طاعاته، فكيف إذا حصل له من ذلك ما يوازي طاعاته أو يزيد عليها؟![6].

([1]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، (92/2).

([2]) أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، الدبيخي، ص385.

([3]) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ص769.

([4]) المرجع السابق، ص439.

([5]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (70/8).

([6]) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن القيم الجوزية، (373/1).

ISSN : 2410-1818

وبيَّن ابن تيمية -رحمه الله- أنَّه قد ضل طائفتان من الناس كالآتي:

فريق آمنوا بالقدر، وظنوا أن ذلك كافٍ في حصول المقصود فأعرضوا عن الأسباب الشرعية والأعمال الصالحة، وهؤلاء يؤول بهم الأمر إلى أن يكفروا بكتب الله ورسله ودينه.

وفريق أخذوا يطلبون الجزاء من الله كما يطلبه الأجير من المستأجر متكلين على حولهم وقوتهم وعملهم[1].

قال ابن القيم -رحمه الله-: "الأعمال سبب لدخول الجنة مقتضية له كاقتضاء سائر الأسباب مسبباتها، وأما الحديث فأخبر فيه أن دخول الجنة ليس في مقابلة عمل أحد وأنه لولا رحمة الله بعبده لما أدخله الجنة لأنَّ العمل بمجرده ولو تناهى لا يوجب دخول الجنة ولا أن يكون عوضًا لها لأنه ولو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقاوم نعمة الله، بل جميع العمل لا يوازي نعمة واحدة"[2].

وقال المقريزي -رحمه الله-: "الأعمال أسباب موصلة إلى الثواب، والأعمال الصالحات من توفيق الله وفضله، وليست قدْرًا لجزائه وثوابه، بل غايتها إذا وقعت على أكمل الوجوه: أن تكون شكرًا على أحد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه، فلو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم"[3].

([1]) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (71/8).

([2]) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم الجوزية، (9/1).

([3]) تجريد التوحيد المفيد، المقريزي، ص57.

ISSN : 2410-1818

الخاتمة: النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

1 - يعد عمل العبد سبب من أسباب دخول الجنَّة، وليس سبب مستقل عن رحمة الله تعالى، وأنَّ العبد لن يدخل الجنة بعمله ما لم يتغمده الله تعالى برحمته. كما أنَّ الجنَّة ليست عوضاً عن العمل أو مقابلاً له.

2 - من رحمة الله تعالى لعباده توفيقهم للأعمال الصالحة وقبولها منهم.

3 - ظهر بوضوح وسطية أهل السنَّة والجماعة وهدايتهم للحق بين الطوائف المنحرفة لاعتمادهم على الوحي.

ثانياً: التوصيات:

1 - إعداد مزيد من الدراسات العقدية التي تعنى باستخراج المسائل العقدية من الأحاديث النبوية وفق منهج أهل السنة والجماعة؛ لما لذلك من أثر في إبراز التكامل العقدي في الحديث النبوي.

2 - العناية بإفراد الدراسات المتخصصة في الأحاديث النبوية؛ لجمع مسائلها العقدية، وربطها بأقوال أئمة السلف، والإسهام في بيان المنهج الصحيح في تقرير عقيدة أهل السنَّة والجماعة والرد على الانحرافات العقدية المتعلقة به.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع:

1. إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، المؤلف: صالح آل الشيخ، الكتاب مرقم آلياً، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
2. أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعا ودراسة، المؤلف: سليمان الدبيخي، الناشر: مكتبة دار المنهاج-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1427هـ.
3. أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: نخبة من العلماء، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1421هـ.
4. أصول الإيمان، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب، المحقق: باسم الجوابرة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1420هـ.
5. أصول السنَّة، المؤلف: ابن أبي زمنين، المحقق: عبد الله البخاري، الناشر: مكتبة الغرباء-المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1415هـ.
6. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف: صالح آل الشيخ، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، 1423هـ.
7. الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد، المؤلف: علي بن إبراهيم، المحقق: سعد الزويهري، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية-قطر، الطبعة الأولى، 1432هـ.
8. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات، المؤلف: ابن الوزير اليمني، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الثانية، 1987م.
9. تجريد التوحيد المفيد، المؤلف: تقي الدين المقريزي، المحقق: طه الزيني، الناشر: الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، بدون رقم طبعة، 1409هـ.
10. التحفة المهدية شرح العقيدة التدمرية، المؤلف: فالح آل مهدي، الناشر: مطابع الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، 1413هـ.
11. تفسير ابن عرفة، المؤلف: محمد بن محمد بن عرفة، المحقق: جلال الدين الأسيوطي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 2008م.
12. تفسير القرآن الكريم، المؤلف: محمد العثيمين، الناشر: مؤسسة الشيخ محمد العثيمين-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1436هـ.
13. توضيح المقاصد شرح نونية ابن القيم الكافية الشافية، المؤلف: أحمد بن عيسى، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي-بيروت، الطبعة الثانية، 1406هـ.
14. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن السعدي، المحقق: عبد الرحمن اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ.

ISSN : 2410-1818

15. الجنة والنار من الكتاب والسنَّة المطهرة، المؤلف: عبد الرحمن القحطاني، الناشر: مطبعة سفير-الرياض، الطبعة الثالثة.
16. حاشية كتاب التوحيد، المؤلف: عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثالثة، 1408هـ.
17. الخُلق الحسن في ضوء الكتاب والسنَّة، المؤلف: سعيد القحطاني، الناشر: مطبعة سفير-الرياض.
18. شرح العقيدة السفارينية، المؤلف: محمد العثيمين، الناشر: دار الوطن-الرياض، الطبعة الأولى، 1426هـ.
19. شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: ابن أبي العز الدمشقي، المحقق: عبد اللّٰه التركي، وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، 1411هـ.
20. شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف: عبد العزيز الراجحي، الكتاب مرقم آلياً، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.
21. شرح النووي على مسلم، المؤلف: أبو زكريا النووي، الناشر: دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.
22. شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن بطال، المحقق: ياسر بن إبراهيم، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الثانية، 1423هـ.
23. شرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث، المؤلف: عبد العزيز الراجحي، الكتاب مرقم آلياً، بدون رقم طبعة، تاريخ النشر: 1432هـ.
24. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: ابن القيم الجوزية، المحقق: زاهر بلفقيه، الناشر: دار عطاءات العلم-الرياض، الطبعة الثانية، 1441هـ.
25. صحيح البخاري، المؤلف: أبو عبد اللّٰه البخاري، المحقق: مصطفى البغا، الناشر: دار ابن كثير-دمشق، الطبعة الخامسة، 1414هـ.
26. صحيح مسلم، المؤلف: أبو الحسين النيسابوري، المحقق: فؤاد عبد الباقي، الناشر: مطبعة عيسى البابي - القاهرة، عام النشر: 1374هـ.
27. العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، المؤلف: ابن الوزير، المحقق: شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة-بيروت، الطبعة الثالثة، 1415هـ.
28. غاية الأماني في الرد على النبهاني، المؤلف: أبو المعالي الألوسي، المحقق: أبو عبد اللّٰه الداني، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ.
29. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، الناشر: المكتبة السلفية-مصر، الطبعة الأولى، 1380هـ.
30. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنَّة، المؤلف: عبد الرحمن اليوسف، الناشر: مكتبة ابن تيمية-الكويت، الطبعة الثالثة، 1406هـ.

ISSN : 2410-1818

31. فهم حديث "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله" في ضوء السياق، المؤلف: مسعود محروس، الناشر: مجلة الميزان للدراسات الإسلامية والقانونية، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 2023م.
32. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، المؤلف: أحمد بن تيمية، المحقق: ربيع المدخلي، الناشر: مكتبة الفرقان-عجمان، الطبعة الأولى، 1422هـ.
33. كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد، المؤلف: عمر العرباوي، الناشر: مطبعة الوراقة المصرية، تاريخ النشر: 1404هـ.
34. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: محمود الزمخشري، الناشر: دار الريان-القاهرة، الطبعة الثالثة، 1407هـ.
35. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: محمد الأمين الشافعي، الناشر: دار المنهاج، الطبعة الأولى، 1430هـ.
36. لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف: علاء الدين الشيحي، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ.
37. مجموع الفتاوى، المؤلف: أحمد بن تيمية، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة، عام النشر: 1425هـ.
38. المحجة في سير الدلجة، المؤلف: أبو مصعب الحلواني، الناشر: الفاروق، الطبعة الأولى، 1425هـ.
39. مختصر التحفة الاثني عشرية، المؤلف: شاه الدهلوي، المحقق: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية-القاهرة، بدون رقم طبعة، 1373هـ.
40. المختصر في تفسير القرآن الكريم، المؤلف: جماعة من علماء التفسير، إشراف مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الثالثة، 1436هـ.
41. معجم مصطلحات العلوم الشرعية، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، الناشر: مدينة الملك عبد العزيز للتقنية، الطبعة الأولى، 1439هـ.
42. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: ابن القيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت، بدون رقم طبعة، 1431هـ.
43. المنتقى من منهاج الاعتدال، المؤلف: شمس الدين الذهبي، المحقق: محب الدين الخطيب، بدون دار نشر، ولا رقم طبعة.
44. النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: المؤلف: ابن الأثير، المحقق: طاهر الزاوي، ومحمود الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية-بيروت، بدون رقم طبعة، 1399هـ.

ISSN : 2410-1818

مجلـــة الأندلس للعلوم الإنسانيـة والاجتماعيـة
مجلـــة دوليـــة شهـريـــة علميـــة محكمـــة
الترقيـم الدولي الإلكتروني: ISSN:2410- 521X
الترقيـم الدولـي الورقـي :ISSN:2410- 1818
البريد الإلكتروني : journal@andalusuniv.net

المجلـة مفهرسـة فـي المواقـع الآتيـة :

العام	2021	2022	2023	2024	2025
معامل أرسيف	0.2692	0.1954	0.3759	0.3068	0.5978
معامل التأثير العربي	1.60	1.73	1.25	1.55	1.59